المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 6

البحث اللساني والسيميائي

2-3-4 رجب 1401 / 7-8-9 ماي 1981

المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 6

البحث اللساني والسيميائي

4-3-2 رجب 1401 / 7-8-9 ماي 1981

جورج بهـاس (*)

هل يمكن الحديث عن النبر في اللغة العربية الفصحَى ؟ (**)

ما ان نتطرق إلى موضع النبرة في العربية الفصحَى حتَّى نجد أنفسنا، في كتابات المستعربين، أمام الاعتراض التالي : «كيف يمكننا أن نتكلم عن النبرة... بينما لا نراها تقوم بأي دور مميز في اللغة ؛ وكل التراث النحوي العربي في فروعه المختلفة قد أهملها كليا وتركنا ازاء افتراضات شتَّى ؟» هذا ما قاله (1966 Fleisch) وقد سبق فقال : «ان سكوت هؤلاء الناس (يقصد النحاة العرب) الذين اجتهدوا ايما اجتهاد كل في اختصاصه ليس له إلا تفسير واحد : لا عمل للنبرة في النحو ، في التجويد وفي العروض» (Fleisch, 1961)

موقف Fleisch يتلخص إذن في الأقوال الثلاثة الآتية :

1 — بما أن النبرة لا تقوم بأي دور مميز فانها لا أثر لها في التصريف وكذلك في العروض .

2 — انه لمن المستحيل ان تقوم النبرة بدور ما في تصريف العربية الفصحَى لأن النحاة العرب لم يتركوا للنبرة أي مكان في دراساتهم .

(*) جامعة باريس الثامنة.

(**) اعتمدت في كتابة هذا البحث على مقالات متن انجازي الخاص ومقالات شاركني في انجازها الأستاذ جمال الدين كلغلي كما ساعدني في وضع المقال بالعربية الأستاذ جورج عوض، وإنني أشكرهما على مساهمتهما.

3 — في ما يخص النبرة في العربية الفصحَى ، من المتعذر علينا أن نتجاوز حدود الافتراضات إذ أنه لا متناول لنا للفصحَى إلا من خلال النصوص التي وصلتنا ومن خلال دراسات النحاة العرب . وبما أن النحاة العرب لم يخلفوا لنا أي نص يتناول مسألة النبرة فليس في حوزتنا أي مصدر ثقة نبني عليه تحليلا لواقع النبرة في العربية الفصحَى .

هذا رأي Fleisch ويشاركه في ذلك معظم الباحثين في هذا المجال بخلاف ما يقول Fleisch لا غرو أن كل نقطة مما ذكرنا هي موضوع نقاش ولنرد على ذلك فقرة فقرة :

1 — قد نتساءل ماذا يعني قوله : ان النبرة لا دور مميزا لها في العربية الفصحَى . بالرغم من أن Fleisch لا يبسط القول في هذا الدور فاننا أميل إلى الافتراض بانه يقصد ان العربية الفصحَى لا تتضمن ألفاظا متقابلة شبيه ما نجد في الانكليزية مثلا :

torment	torment
عذب	تعذيب

حيث «تميز» النبرة بين الفعل والاسم

قد أثبت داود عبده في كتابه :

On stress and arabic phonology, a generative approach

ان مثيل هذه الألفاظ المتقابلة يوجد في اللغة العربية كما هو الأمر في الانكليزية في الحقيقة ، ان التميز بين الألفاظ الآتية يعزَى إلى محل النبرة في الكلمة :

ومضت	(wa'madat)	ومضت	(wamadat)
من ومض		حرف عطف وفعل مضَى	
فصلت	(fa'salat)	فصلت	(fasa'lat)
من فصل		حرف عطف وفعل صلى / يصلي	
فعلت	(fa'salat)	فعلت	(Fasa'lat)
من فعل		حرف عطف وفعل علا / يعلو	

في ما يتعلق بالألفاظ المماثلة إلى يسار الخط لا شك أن حرف العطف والفعل

يكونان مجموعة نبرية (بعبارة أخرى : كلمة) واحدة إذ أن حرف العطف يلتصق بالفعل كما يحصل ذلك بين الفعل والضمير المتصل فيشكلان وحدة نبرية مستقلة . فالعنصر المميز إذن بين ومضت (فعل) وومضت (حرف عطف + فعل) انما هو النبرة [wámadat] ~ [wamádat] مع ذلك هب أن النبرة لا تقوم بأي دور مميز في اللغة الفصحَى ، فهذا لا يعني أنها مجردة عن أي دور على الاطلاق . فمثلا يقال أيضا إن النبرة لا تقوم بدور مميز في اللغة الفرنسية مع أن عدة لغويين قد أثبتوا انها تقوم بدور مهم في تصريف اللغة الفرنسية .

الشيء الأساسي في هذا المجال يعود إذن إلى ما يضع اللغوي نصب عينيه :

— إذا قصد إلى ابراز العناصر التمييزية في اللغة وترتيبها فلا يهتم بالنبرة في اللغة العربية الفصحَى .

— أما إذا أراد أن يصف جميع المتتابعات الصوتية السليمة التي تكوّن اللغة فلابد له أن يأخذ بالحسبان النبرة كأي ظاهرة لغوية .

2 — الا يذكر النحاة العرب النبرة لا يثبت شيئا . قال Leibriz وكرر بعده (Chomsky 1965) «ان في حوزتنا أشياء كثيرة لا علم لنا بها». ولنضرب لذلك بعض الأمثلة : ذكر Chomsky ان الصينيين ينطقون بأصوات فعندهم أساس الخط الأبجدي مع أنهم لم يكتشفوه قط . ذكر (Garde 1968) في كتابه L'accent ان المتكلم الفرنسي الذي لا يعي وجود النبرة في لغته ، يكتشفها عند تعلمه لغة أجنبية . أخيرا : من منا لم يلاحظ ان عددا كبيرا من الفرنسيين حتَّى المثقفين يميلون إلى القول بان النبرة لا وجود لها في الفرنسية ... فإذن «سكوت هؤلاء الناس (أي النحاة العرب) قد يجد له تفسيرا آخر، في ما يلي بسطه. قال (1965 Chomsky) «كل ناطق بلغة ما يملك في ذهنه نحوا توليديا حيث تتكون معرفته باللغة . لا يلزم من ذلك أن يكون واعيا قواعد النحو أو ان يكون قادرا على وعيه أو أن أقواله المتعلقة بمعرفته الحدسية للغة هي صحيحة بالضرورة ... بديهي ان أقوال الناطق المتعلقة بتصرفه اللغوي وبمقدرته اللغوية قد تكون خاطئة كليا» .

3 — اما النقطة الثالثة من موقف Fleisch فيبدو لنا انها تستحق نقاشا

متعمقا . انها تثير ، في الواقع ، قضية القدرة على ادراك اللغة العربية الفصحَى . لا غرو اننا نعتمد في ذلك على نصوص النحاة العرب والمعطيات التي تحويها،ولكن هذا ليس المنفذ الوحيد الذي نطل منه :

أولا : كما ذكره (Brame 1970) في أطروحته «لا نجد في التاريخ نقطة حاسمة تفصل بين الفصحَى القديمة وبين الفصحَى الحديثة .

ثانيا : يمكننا وضع استدلالات حول الفصحَى القديمة انطلاقا من اللهجات العصرية .

ثالثا : بمستطاعنا أن نستند إلى واقع لغوي ذكره النحاة العرب لنبني عليه حجة لواقع لغوي لم يذكروه .

هناك مستشرقون ولغويون قد قدموا مثل هذه الاستدلالات في ما يتعلق بالنبرة في العربية الفصحَى ويمكننا ان نلخص نتيجة ما وصلوا إليه في مذهبين :

الأول : لا تتعدَى النبرة المقطع الثالث بدءا من آخر الكلمة . فاستنادا إلى هذا الموقف تصل النبرة في كلمة المملكة إلى المقطع الثالث ، بدءاً من آخر الكلمة أي **(Al-mamlákatu)**

أما المذهب الثاني فيقول ما يلي : إذا تضمنت الكلمة ثلاثة مقاطع قصيرة بدءاً من آخرها انزلقت النبرة إلى ما بعد المقطع القصير الثالث بدءاً من آخر الكلمة . فاستنادا إلى هذا الموقف تصل النبرة في كلمة المملكة إلى المقطع الأول أي **(Al-mamlákatu)**

نذكر في عداد أنصار المذهب الأول **Thomas Erpenius** في كتابه **Grammatica arabica** الذي نشر سنة ألف وستمائة وثلاث عشرة وهو أقدم مصدر أعرفه في هذا المجال .

في اطار النحو التوليدي نذكر داود عبده في كتابه **on stress and arabic phonology** وهو أول كتاب تناول اللغة العربية من خلال اطار هذه النظرية ثم **Brame** في أطروحته (1970 ، وفي مقال صدر في مجلة **Foudations of language,** 1971 وهو اعاد دراسة عبده وأعطَى

قواعدها صيغة أفضل). فان قاعدة وضع النبرة التي عرضها Brame هي :

$$V \rightarrow [+ \text{ stress}] / — C_0 ((VC) V C_0^1) \neq$$

استنادا إلى المصطلحات التي وضعها Chomsky et Halle ، 1968 يلخص هذا الشكل كما ينص عليه Brame القواعد الثلاث الآتية :

ا) $V \rightarrow [+ \text{ stress}] / — C_0 VCVC_0^1 \neq$

ب) $V \rightarrow [+ \text{ stress}] / — C_0 VC_0^1 \neq$

ج) $V \rightarrow [+ \text{ stress}] / — C_0 \neq$

ننوه ان C_0 في رموز Chomsky et Halle, 1968 تلخص متتابعة من ∅ (صفر) حتّى ما لا نهاية له من الصوامت . إذن C_0 يعني :

∅
C
CC
CCC
CCCC
CCCCC...

و C_0^1 متتابعة من ∅ أو صامت واحد أي ∅ أو C

ان استخدام هذا الرمز C_0^1 يسمح له بأن يعطي لكل من المقطعين CV و CVC قيمة واحدة في نهاية الكلمة . وهكذا ينبر بطريقة واحدة الكلمتين المملكة ومملكة أي [Al-mamlakatu] et [mamlakatun] وان اختلف شكلا المقطع الأخير

لنضرب لذلك أمثلة :

الكلمة كتب /kataba/ تطابق الوصف البنيوي لقاعدة النبرة في فرعها الأول أي

$$/\text{kataba} \neq / — CVCV\varnothing \neq$$

فإذن النبرة تنزلق إلى [kataba]

اما يفعل فيطابق الوصف البنيوي لقاعدة النبرة في فرعها الثاني أي

$$/\text{yaf}^{\text{ɛ}}\text{al} \neq /$$
$$— CCVC \neq$$
$$— C_0 VC \neq$$

فإذن المقطع [yaf] هو المقطع المنبور [yáfɛal]

أخيرا بل /bal/ يطابق الوصف البنيوي لقاعدة النبرة **[Yafeal]** في فرعها الثالث

أي **bal** ≠
– C ≠
- C_o ≠

وهكذا تقع النبرة عليه **[bäl]**

اما المذهب الثاني (وهو مذهب الذين يدّعون ان مملكة منبورة على مَم **[ma'mlakatun]** فمن انصاره القدامَى المستشرق الألماني (Brockelman 1970) ومن المحدثين ، اللغوي الامريكي (McCarthy 1979) الذي وقف صفحات من أطروحته ليبرهن على صحة هذا المذهب وتبعه في ذلك عدة لغويون امريكيون . لقد تناولت هذا الموقف بالنقد في مقال نشر في مجلة **Analyses Théorie** (العدد الأول لعام 1981) وشاركني في كتابة هذا المقال الأستاذ جمال الدين كلغلي . أوضحنا في هذا المقال أن استدلالات **McCarthy** التي تعتمد على اللهجات الحديثة باطلة (انظروا لمزيد من المعلومات المقال المذكور) وأوضحت في مقال آخر نشر أيضا في هذه المجلة وشاركني في تأليفه الأستاذ جورج عوض،ان استدلالات **McCarthy** القائمة على العروض باطلة أيضا .

وقد أبرز جمال الدين كلغلي في مقالنا حجة قد تكون قاطعة إذ أنها لا تعتمد على اللهجات الحديثة ولا على العروض بل على الواقع اللغوي كما نقله النحاة القدامَى . ان هذه الحجة تعتمد على فكرة بسيطة جدا وما أكثر ما تناقلها علماء الأصوات والتصريف وهي تقوم على ان المقاطع القصيرة المنبورة ليس لها نفس الخصائص الصوتية والتصريفية التي تختص بها المقاطع القصيرة غير المنبورة ، وان هذه المقاطع المنبورة هي أشد قوة من تلك ، الأمر الذي يكسبها خصائص صوتية وتصريفية تفتقر اليها المقاطع غير المنبورة .

إذا اثبتنا في تصريف العربية الفصحَى ان المتتابعة نفسها تحتمل تغييرا تصريفيا أو لم تحتمله حسب كون مقطع ما من هذه المتتابعة منبورا أو غير منبور سيسمح لنا هذا ان نحدد محل النبرة وان نبرهن على ان هذا المحل لا يتفق واستدلالات

McCarthy بل يتفق واستدلالات عبده و Brame .

ليكن الفعل المثال الذي فاؤه واو ووزنه فَعِلَ / يَفْعَلُ وكذلك الفعل المثال الواوي المزيد من وزن افتعل / يَفْتَعِلُ . فمن النوع الأول نذكر مثلا وَجِلَ يَوْجَلُ ووَتِغَ يَوْتَغُ (يعني تلف) وهو في مستواه الأصلي : /yawtagu/ كما هو في شكله الملفوظ : [yawtagu] ومن النوع الثاني اتحد / يَتَّحِدُ وهو في مستواه الأصلي /yawtahidu/ فيظهر أن الفعلين في المستوى الأصلي يحويان المتتابعة نفسها أي : /yawta/ في اللغة الفصحى يبقى الفعل يوتغ على حاله دون تغيير طرأ عليه فأصله : /yawtagu/ وشكله الملفوظ : [yawtagu]

اما /yawtahidu/ فعلى خلاف ذلك : ان شكله الملفوظ ليس يوتحد بل يتحد إذا قارنّا /yawtagu/ و/yawtahidu/ يتضح لنا أن ابدال yawta → yatta لا سبيل إلى ان نعزوه إلى طبيعة الحروف والحركات ولا إلى البنية المقطعية : فهما متماثلان في الفعلين ومع ذلك يوتغ يظل يوتغ ويوتحد يصبح يتحد .

فلنعد إلى المذهبين السابقين : عند Brockelman و McCarthy النبرة تنزلق في الفعلين إلى المقطع الأول :

yawtagu yawtahidu

كـ al-mámlakatu

فلا سبيل إلى تفسير الفرق بين /yawtahidu/ /yawtagu/
[yattahidu] [yawtagu]

إذ أن الفعلين متماثلان من حيث :

- تتابع الأحرف والحركات
- البنية المقطعية
- النبرة

بعكس ذلك عند عبده و Brame سبب هذا الفرق يصبح واضحا وتفسيره سهل إذ أن الفعلين يختلفان من حيث النبرة فيوتغ منبور على يو : /yawtagu/ بينما يوتحد منبور على تَـ : /yawtahidu/

اما /yáwtágu/ فالنبرة فيه تكسب المقطع الأول (أي يَو) قوة خاصة تجنبه عملية الابدال فيبقَى هكذا : يوتغ .

واما يوتحد /yawtahidu/ فالنبرة فيه على تَـ : /yawtahidu/ مما يغير علاقة القوَى بين المقطعين : المقطع تَ هو منبور بعكس المقطع يَو فقوة المقطع تَـ تمكنه من اجتلاب الواو من المقطع الضعيف وجعله تاء : [yattahidu] فهذا المذهب الثاني وحده جدير بتفسير هذا الواقع اللغوي . وهكذا نقطع جازمين بان هذا المذهب هو المذهب الصحيح .

في ختام ذلك يمكن تحصيل النتائج التالية :

1 ــ قطعنا بين المذهبين بتغليب المذهب الثاني القائل ان النبرة لا تتعدَّى المقطع الثالث بدءا من نهاية الكلمة .

2 ــ خلافا لما قال **Fleisch** يبدو أن النبرة تقوم بدور في تصريف اللغة الفصحَى ويمكننا الآن أن نتحدث عنه ونتحقق من صحة افتراضاتنا حوله .

المراجـع :

ABDO, D., 1969, **On stress and arabic phonology, a generative approach,** Beyrouth : Khayats.

AWAD, G. et BOHAS, G., 1981, **Note à propos des sur-lourdes en arabe classique, Analyses Théorie, 1.**

BOHAS, G. et KOULOUGHLI, D.E., 1981. **Processus accentuels en arabe (parlers du Caire, de Damas et arabe classique), Analyses Théorie, 1.**

BRAME, M.K., 1970, **Arabic Phonology : Implications for phonological théory and historical semitic,** Ph. D. Diss., MIT, inédit.

BRAME, M.K. 1971, **Stress in arabic and generative phonology, Foudations of language, 7.**

BROCKELMANN, C., 1907, **Grundriss der vergleichenden Grammatik der sem itischen Sprachen, I.** Hildesheim : Georgy Olm.

CHOMSKY, N., 1965. **Aspects of the theory of syntax,** Cambridge : The MIT Press.

CHOMSKY, N., et Halle, M., 1968, **The sound pattern of English,** New-York : Harper and Row.

ERPENIUS, T. 1656, **Grammatica Arabica,** Lugduni Batavorum 1ère édition : 1613).

FLEISCH, H., 1961, **Traité de philologie arabe,** Beyrouth : Imprimerie Catholique.

FLEISH, H., 1966, **Compte rendu de Blachère, 1964, Mélanges de l'Université** Saint-Joseph, 42.

GARDE, P., 1968, **L'accent,** Paris : P.U.F.

MCCARTHY, J., 1979, **Formal problems in semitic phonology and morphology,** Ph. D. Diss., MIT.